جريمة الانتحار في المجتمع المصري خلال عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

إعـــداد

د/ محمد عبد السلام عباس

أستاذ مساعد بمعهد الدراسات السياحية كنج مريوط

يتناول هذا البحث سفارة الأمير جورج [١] Georg بن زكريا بن يحنس ولى عهد النوبة التي ذهب على رأسها إلى بلاط الخليفة المعتصم بالله العباسي(٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٤-٨٤٢م) [٢] بشأن معاهدة البقط[٣]، والتي أظهر فيها دبلوماسية بارعة، من خلال تفاوضه مع الخليفة العباسي.

وبادئ ذي بدء يتحتم علينا تسليط الضوء على الحدود الجغرافية للنوبة في الفترة موضوع البحث فنجدها أنها كانت تمتد من مدينة أسوان حتى مدينة الخرطوم بالسودان ، وتحديداً من الشلال الأول حتى الجنوب من نقطة التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق ، ويكثر بهذا الجزء الانثناءات النيلية والجنادل التي تعترض مجرى النيل ، وفى القرن السادس الميلادي كانت تشتمل على ثلاث ممالك هي مملكة نوباديا Nobadae وتقع جنوب الشلال الأول ، وتليها مملكة مقرة Makuria ، ثم مملكة علوة Alodia التي قامت على أنقاض مملكة مروى في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي ، وكانت كل منها مستقلة بإدارتها تحت حكم رؤساء وطنيين ، وعند القرن الأول الهجري/ منتصف القرن السابع الميلادي، ومع بدايات توجه الجيوش العربية لفتحها ، كانت مملكتي نوباديا ومقرة متحدتا في مملكة واحدة وعرفت باسم النوبة ، واتخذت من مدينة دنقله عاصمة لها ، وأحياناً كانت تنضم إليهما مملكة علوة في بعض الفترات التاريخية[٤] .

أما عن وصف الحالة السياسية في بلاد النوبة في هذا الوقت فقد أمدتنا المصادر ببعض روايات عنها، وأشارت إحداها إلى أن أحد الزعماء النوبيين ويدعى زكريا بن يحنس لم يكن من السلالة الملكية ولم يكن له علاقة

قرابة بالعائلة المالكة، ولكنه انتهز فرصة حدوث انقسامات وصراعات على عرش المملكة من جانب أفراد العائلة المالكة، وتقدم بجيش من جنوده واستولى على الحكم [٥] ، ويرى بعض الباحثين أنه كان ملكاً أو أحد أفراد العائلة الملكة في علوة قبل ذلك، واستغل الاضطراب في مملكة النوبة وضمها لملكه . [٦] .

ولما كانت تقاليد وراثة العرش في البيت الملكي النوبي تسير على نظام الأمومة ، أي أن العرش ينتقل بعد موت الملك إلى ابن الأخت وليس ابن الملك نفسه ، وإن لم يوجد أبن أخت انتقل العرش إلى أبن الملك [٧]، فقام الملك زكريا هذا بالزواج من إحدى بنات العائلة المالكة في النوبة لكي يضفى على نفسه صفة الشرعية ، وأنجب منها أبناً يسمى جورج ، وجعله ولى عهده ، وجعل نفسه وصياً على ابنه ويحكم باسمه حتى بلغ سن الرشد [٨]، وبذلك قام زكريا بمخالفة تقاليد وراثة العرش وجعل نظام الحكم وراثي في أبنائه .

ولعل النظام النوبي القديم في وراثة العرش كان هو المتسبب في الانقسامات وفجر الصراعات بين أفراد العائلة المالكة ، وعلى أثره أستطاع زكريا استغلال هذه الصراعات لصالحه، وتمكن من عرش النوبة، وقلب تقليد وراثة العرش بها، وجعله لإبن الملك بدلاً من ابن الأخت، لكي يضمن عدم حدوث صراعات وانقسامات على عرش النوبة من بعده ، وهذا يدلنا أيضاً على أن الملك زكريا كان مثقفاً ومطلعاً على نضم الحكم في الدول والممالك القريبة منه ، أو أنه كان حاكماً ومارس الحكم في أحد الممالك النوبية الأخرى.

ونجد عند ميخائيل السرياني بعض المعلومات التي تفيدنا في هذه القضية الخاصة بوصول زكريا بن يحنس إلى عرش مملكة النوبة، وهو أن

قبل وصول زكريا إلى الحكم كان يحكم النوبة ملك شرعي من السلالة الملكية يسمى" بابديس"، لكنه مات وتملك بعده زكرياهذا . (٩) .

وأيا كان الوضع فإن هذه الرواية التاريخية تفسر بعض الحقائق عن كيفية ارتقاء الملك زكريا بن يحنس لعرش مملكة النوبة، وتؤكد أنه لم يكن ينتمي للعائلة النوبية المالكة ، وأنه اغتصب عرش النوبة ، ثم أراد وضع شرعية لملكه بالزواج من الأميرة الملكية ، وأنجب ابنه جورج منها .

أما عن أحوال الدولة العباسية في ذلك الوقت ، فنجد أنه عندما تولى الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) كانت أحوال الخلافة قد بدأت تستقر، وقلت الصراعات والثورات والحروب ، وأمكنه القضاء على الباقية الباقية منها ، ودانت له معظم أقاليم الخلافة بالولاء ، وأخذت الدولة العباسية تستعيد عافيتها تدريجياً ، وراح المعتصم يتفقد أحوال دولته بعد أن أنهكتها الحروب والثورات والفتن ، ومما لا شك فيه أنها كانت بحاجة إلى جهود كثيرة من أجل إعمارها ، وإلى أموال كثيرة للصرف على مجالات إنفاقها ، وذلك من خلال ما كانت تضخه ولاياتها من أموال الجزية وبضائع الخراج والأيدي العاملة والصناع والعبيد ، فراح الخليفة يرسل رجاله لجمع كل هذا من ولاياته(١٠)، وانتبه إلى شأن النوبة ليأتي بالبقط منها ، فأرسل رسله إلى ملك النوبة يحملون رسالة كان مضمونها يفيد ذلك، ومما جاء في هذه الرسالة " **عليك أن تفعل كما كان الملوك قبلك يفعلون بأن ترسل لنا بقط أربع عشرة سنة مضت وإن امتنعت سنواجهك بالحرب** " (١١)، وكان السبب الرئيسي الذي جعل المعتصم يرسل لطلب البقط يتمثل في امتناع ملوك النوبة

عن دفع البقط مدة طويلة ، حددتها المصادر بأربعة عشر عاماً متتالية كما ورد في رسالته . (١٢)

وترجع معاهدة البقط هذه إلى بداية امتداد الفتوحات الإسلامية إلى أرض النوبة ، حيث قام عبد الله بن سعد بن أبى الصرح(١٣) والى مصر في عصر الخليفة عثمان ابن عفان(٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) بالهجوم على الأراضي النوبية في عام ٣١ هـ / ٦٥٢ م ، حتى وصل إلى دنقلة (١٤) Dangola عاصمة مملكة مقره ، وانتهت حملته إلى الاتفاق على عقد الصلح بينه وبين النوبيون المسمى بالبقط ، ومؤداه أن يدفع ملوك النوبة للمسلمين عدد ثلثمائة وستون أو أربعمائة رأساً من الرقيق في كل عام، كما اتفق الطرفان أن يدفع الحكام المسلمون معونة سنوية لبلاد النوبة تتكون من الحبوب والملابس وزيت الزيتون ، وأن يحافظوا على أموال ومصالح المسلمين القاطنين في بلادهم وانتجار منهم أيضاً ، ولا يتعرضوا لهم بأذى ، وأن يحافظوا على المسجد الذي بناه المسلمون هناك، مع تقديم كل احتياجاته، وأضيف إلى هذا العهد أن يبذل النوبيين هدايا سنوية للخلفاء من الحيوانات النادرة التي عندهم مثل القردة المدربة والزراف ، إلى جانب بعض المنتجات النوبية الأخرى مثل الجلود والعاج والذهب (١٥)، ونلاحظ أن هذه المعاهدة بها ذكر المسجد في بلاد النوبة ، قبل أن يقوم سعد بن أبى صرح بحملته عليها ، وهذا يدل على أن الإسلام عرف طريقه إلى بلاد النوبة مبكرا جداً ، قبل الفتوحات الإسلامية لها ، وأغلب الظن أنه عرف طريقه إليها عن طريق العلاقات التجارية ، ونقله إليها التجار المسلمون الذين يعملون فيها .

وذكر المسعودي بأن النوبيين تعهدوا بأن يقدموا في كل عام ٣٦٥ من العبيد بعدد أيام السنة للخلافة ويودع في بيت المال ، ويدفع للوالي بمصر أربعين عبداً ، وحاكم أسوان الذي يتولى عملية تسلم العبيد عشرين عبداً ، ورسول الوالي الذي يحضر هذه العملية خمسة عبيد، بالإضافة إلى أثنى عشر رأساً كانت تعطى لأثنى عشر شاهداً عدولاً من المسلمين الذين يحضرون هذه العملية ، ومجموع هذا كله في النهاية ٤٤٢ رأساً ، ويتم هذا الأمر في مكان يسمى القصر [١٦] جنوبي أسوان ، وفى نظير ذلك يمد المسلمين النوبة بألف إردب من الغلال وحبوباً أخرى كالعدس والقمح والأقمشة [١٧].

ويضيف ميخائيل السريانى أن الجانب الإسلامي في هذه المعاهدة قد سمح لملوك النوبة أن يجبوا ضرائب من النوبيين الساكنين في بلاد المسلمين ، وبموجب هذا الإتفاق توقفت غارات المسلمون على النوبة، وأوقف النوبيون غاراتهم على جنوب مصر ومدينة أسوان [١٨] ، وبالتالي وضعت هذه المعاهدة حد للصراعات بين المسلمين في مصر والنوبيين .

وأوضح البلاذرى أن هذه المعاهدة وضعت بين الطرفين لتكون هدنة لبعض الوقت ، وليست صلحاً ولا إتفاقاً [١٩]، بينما رأى البعض الآخر أنها لم يكن بها طرف أقوى من الآخر، حيث أن بنودها توضح أنها كانت اتفاقية صلح بين الطرفين ، وذلك لأنها تضع النوبيين في موضع الند للطرف الإسلامي ، إذ أنها ربطت البقط بما يؤديه لهم المسلمين من غذاء وكساء ، وكان الطرفان متساويان فيما يدفعونه في شكل مصالح متبادلة وامتيازات تجارية ، إذ كانت أشبه ما تكون بمعاهدة تجارية بين الطرفين ، كما كان لها

فوائد سياسية من حيث أنها ضمنت أمن وسلامة الحدود بين الطرفين ، وكفت النوبة شر الهجمات الإسلامية ، ومنعت عن مصر أيضاً شر الهجمات النوبية على الحدود الجنوبية [٢٠] .

وكان لقطع البقط أسباب عديدة وهى تتعلق بالجانبين الإسلامي والنوبي معاً ، ومنها أنه عندما بلغت الدولة الإسلامية أوج مجدها أيام الخليفة العظيم هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) [٢١] ، وبلغت أقصى أتساعها ، وبلغت من الرخاء والرفعة والعظمة مبلغاً عظيماً ، وزادت قوتها جداً حتى أن الحكام والأمراء والولاة أخذوا يستهينوا بما حولهم من قوى ودول وحكام وملوك ، واستكثروا على أنفسهم أن يدفعوا شيئاً مما ألزمتهم به الاتفاقيات والمعاهدات بينهم وبين القوى المجاورة لهم التي تربطهم بها مصالح مشتركة ، واستخفوا بملوك النوبة ، واستضعفوهم ، وامتنعوا عن إرسال شيئاً مما اتفقوا عليه معهم مقابل البقط الذي يدفعه النوبيون ، ومن ثم قام والى مصر بالإمتناع عن تقديم شرط البقط وهو الغلال والحبوب والأقمشة ، وهو ما دفع ملك النوبة إلى قطع رسل البقط [٢٢].

كما نجد هناك إشارات موجزة للغاية عن أسباب أخرى، وهى حدوث الحرب بين الملوك النوبيين وبعضهم البعض ، وإغارات ولاة مصر على النوبة بشكل متكرر ، وأن ملوك النوبة استغلوا فرصة نشوب الحروب داخل الخلافة العباسية نفسها ، مما جعلهم يمتنعون عن إرسال البقط في هذه المدة [٢٣]، فضلاً عن صراع هؤلاء الملوك النوبيين أنفسهم على وراثة العرش الملكي ، مما شغلهم عن دفع البقط المقرر عليهم .

تلك كانت أحوال الدولة العباسية والنوبة في هذا الوقت، وهى توضح أسباب عدم إرسال البقط للخلافة العباسية التي انشغلت بالصراع المرير على خلافة العرش في الدولة العباسية ، وفى عصر المأمون(١٩٧-٢١٨هـ/٨١٤-٨٣٤م) [٢٤] انشغلت بالقضاء على الثورات والفتن التي شملت كل أقاليمها ، كما أن الأمر لم يختلف عنه كثير في بلاد النوبة، إذ قامت بها الحروب بسبب الصراع على العرش أيضا بين الملك زكريا وأمراء الأسرة المالكة ، ونتج عن ذلك أن قطعت مصر ما كانت ترسله من حبوب وأقمشة إلى بلاد النوبة ، وامتنعت النوبة عن إرسال البقط هي الأخرى.

ولعل هذا الأمر هو مادفع الخليفة المعتصم بالله العباسي إلى إعادة مطالبة النوبيين بإرسال البقط، ومن ثم خرجت رسله من بغداد عاصمة الخلافة ودخلت مصر، ثم بلغت أسوان والتقت بحاكمها وأطلعته على الرسالة وغرض رحلتهما [٢٥]، ولعل هذا كان غرض المعتصم نفسه في أن يتقابل هؤلاء الرسل مع حاكم أسوان ويطلعوه على الأمر ، وذلك لهدف أن يعد نفسه بما تحت يديه من قوات للمشاركة في الحرب ضد النوبيين إن لم يجنح الملك النوبي للسلام ويرسل البقط ، إلى جانب ما يتعين على الحاكم من أمداد هؤلاء الرسل بالمساعدات من مؤن وأفراد لحراستهم في طريقهم للنوبة ، وأدلاء يرشدونهم للطريق .

ومما جاء في هذا الشأن أيضاً أن البطريرك القبطي الأنبا يوساب الأول (٨٣١ - ٨٤٩ م) Joseph [٢٦] علم بفحوى هذه الرسالة عن طريق كاتب قبطي كان يعمل عند والى أسوان المسلم ، مما دفع البطريرك أن يقوم

هو أيضاً بإرسال رسالة إلى الملك النوبي يعرفه أنه منذ أن جلس على الكرسي البطريركى والخلفاء يحسنون معاملته ، والولاة يجلونه ، ويوصيه فيها بطاعة الخليفة وإرسال البقط وأن لا يعرض نفسه وشعبه لأخطار الحرب، ومما جاء في هذه الرسالة:

" أنا غير المستحق أن أجلس على كرسي القديس مرقس ، لي اشتياق أن أكتب لكم وأطمئن من جانبكم ، إلا أن بسبب الحروب التي حدثت بأرض مصر ، وتمرد البشموريين ومخالفتهم لأوامر الخليفة ، مما تسبب في سكب جام غضبه عليهم ففتلهم وأخرب مواضعهم ، ولذلك فأنى أعلمكم بهذا وأدعوكم لأن تستجيبوا لأوامر الخليفة ، كما أعلمكم بأني قد تعبت كثيرا وذقت العذاب من أخوتي (الأساقفة المخالفين) كما قاسى سيدنا يوسف بن يعقوب من أخوته ، أطلبوا السلام ، فلتسكن فيكم المحبة وفى بيعكم " (٢٧) .

وحمل رسل البطريرك هذه الرسالة وساروا إلى أسوان، حتى بلغوا النوبة وسلموه الرسالة، ويتضح من هذا أن البطريرك القبطي كان رجلاً مسالماً ، وأنه رأى أن المعتصم حاكماً عادلاً ، وأن الكنيسة القبطية كانت تسهم في إرساء الأمن والسلام داخل الدولة العباسية ، وبينها وبين جيرانها من قوى مسيحية باعتبارها مؤسسة قائمة داخل نفوذ الخلافة العباسية، كما يتضح منه أيضاً أن والى أسوان كان رجلاً متسامحاً، إذ كان كاتبه رجلاً قبطياً ، وهذا شأن كثير من الحكام والولاة العباسيين .

وتوضح المعلومات التاريخية أن رسل الخليفة عندما وصلوا إلى بلاد النوبة وجدوا أن الأحوال قد تغيرت في بلاد النوبة، وأن الملك النوبي الذي يدعى باديس قد مات ، وجاء عوضاً عنه الملك زكريا [٢٨]، وعمل الملك زكريا على استقبال رسل الخليفة ورسل البطريرك القبطي بالترحاب وأكرمهم، ولما قرأت عليه رسالة المعتصم شق عليه الأمر ، وأدرك صعوبته ، ولا سيما أن الخليفة ألزمه بدفع البقط عن الأربع عشرة عاماً المنصرمة [٢٩].

ومضمون ذلك أن عليه أن يجمع عبيد عددهم يقدر بالألوف ، لأنه وفقاً لرواية المصادر أن عدد العبيد الذي يتوجب على ملك النوبة إرسالهم كل عام للخلافة يتراوح عددهم بين ٣٦٠ إلى ٤٤٢ عبداً ، ومجموعهم في الأربع عشرة عام يقدر بنحو من خمسة آلاف إلى ستة ألاف عبداً ، هذا بخلاف الذهب والعاج والجلود والحيوانات ، وهذا يعنى أن على ملك النوبة إرسال عدد كبير جداً من العبيد إلى الخليفة العباسي المعتصم بالله ، وكميات كبيرة من منتجات بلاده ، إلا أن أحوال مملكة النوبة المضطربة ، وحروبه المستمرة مع السابقين من أمراء الأسرة الحاكمة ، والإغارات المتكررة على مملكته من والى أسوان والقبائل المحيطة به جعله في حيرة من أمره .

وقبل أن يعطى الملك زكريا أبوبي جواباً لرسل الخليفة أخذ يفكر بما سيكون عليه الرد ، وعمل على الإجتماع مع ولده جورج للتباحث في هذا الأمر ، وكان من رأى جورج أن لا تدفع النوبة بقطا تستعد لحرب المسلمين ، إلا أن أبيه زكريا أنكر عليه ذلك ، وأخذ يذكره بأن ملوك النوبة السابقين لم يقدروا على فعل ذلك ، وعليه أولاً أن يعرف مدى قوة الجيوش العباسية قبل

أن يأخذ قراراً بمحاربتهم ، ورأى أن يقوم بتجهيز سفارة يقوم بها ابنه جورج إلى بلاط الخليفة العباسي المعتصم بالله ، ومن خلال هذه السفارة يستطيع أن يتعرف على مقدار قوة الخلافة العباسية وقوة جيوشها ، ويقارن بينها وبين قوة جيوشه ، حتى يستطيع أن يأخذ قرار صحيح في هذا الأمر، فإن وجد أن جيوش مملكة النوبة أكثر عدداً وتسليحاً وقوة من جيوش الخلافة قام بالحرب عليهم ، وإن رأى العكس فعليه مهادنتهم ومعاهدتهم ، لعله يستطيع أن يحقق مكاسب لبلاده عن طريق الوسائل الدبلوماسية ، ويجنب مملكته أهوال الحرب وخسائرها (٣٠) ، وفق ما ذكره المقريزي.

أما المصادر الأخرى فقد اتفقت معه في أن ملك النوبة زكريا لم يكن يفكر في الحرب ضد العباسيين مطلقاً ، وكان يعرف أن مملكته لا تقوى على محاربتهم ، وكان يخشى أن تهاجمه جيوش المعتصم فتدمر مملكته وتخلعه عن العرش ، وخاصة في هذا الوقت الذي يتصارع هو فيه مع الملوك السابقين للمملكة والقبائل المحيطة به، ومن ثم بادر باستخدام الطرق الدبلوماسية لإيجاد حل لتلك المشكلة التي واجهها (٣١)

وبعد أن التقى زكريا برسل الخليفة أخذ يوضح لهم أن طريقة تفاوضه مع الخليفة لايمكن أن تقوم على الرسائل المتبادلة على يد الرسل، بل يجب أن ترتقي إلى مستوى عالٍ ، ولابد عليه أن يذهب بسفارة إلى بلاط الخليفة يكون على رأسها ، ولما كان يخشى أن يترك كرسي المملكة حتى لا ينتهز أعدائه فرصة خروجه ويقومون بمهاجمة بلاده ويستولون على مملكته ، فمن ثم رشح ابنه جورج للقيام بهذه المهمة ، وطلب من الرسل أن يستأذنوا له من الخليفة

بأن يقوم بإرسال سفارة يكون ابنه جورج على رأسها لمقابلة الخليفة والتفاوض معه في هذا الشأن ، فنقل رسل الخليفة رغبته هذه إلى الخليفة المعتصم فوافق المعتصم وأبدى ترحيبه بهذه السفارة [٣٢].

ولما بلغ زكريا أمر موافقة الخليفة على استقبال السفارة أخذ يقوم بالتجهيز لها والإعداد لخروجها، وأول ما قام به في هذا الشأن أن قام بإحضار ابنه البكر جورج وخلع عليه ولاية العهد ، ليخلفه على العرش ، ونادي به بين الناس ولياً لعهد مملكة النوبة ، وذلك وفقاً لتقاليد وراثة العرش في النوبة [٣٣] .

وخرجت السفارة من بلاد النوبة متجهة إلى بغداد عام ٢١٨هـ/٨٣٣م بعد انكسار موجة الحر الشديد في فصل الصيف [٣٤]، وقد اهتم ميخائيل السريانى بوصف هذه السفارة إلى جانب بعض المصادر الأخرى التي أمدتنا ببعض المعلومات الموجزة عن هذا الوصف ، وقد أنفرد السريانى ببعض مما أورده عنها، حيث أوضح بعض صفات الأمير جورج ، فأشار أن عمره في هذا الوقت كان عشرون عاماً ، وكان يتمتع بالذكاء ورجاحة العقل ، بهي الطلعة ومهنداماً ومهذباً ، مستقيم الخلق ، سليم المعتقد ، ذو هيئة تليق بالملوك، وكان جورج يمتطى جملاً مسرجاً ، تعلوه مظلة – أي هودج – موشاة بأقمشة فاخرة ملونة ، وعلى قمة المظلة صليب ذهبي ، وكان جورج داخل هذه المظلة وبصحبته أسرته ، ويمسك عصا بإحدى يديه وصليباً بالثانية ، وإلى جانبيه يسير شباب نوبيون يمتطون جمالاً يخدمهم ثلاثة أساقفة من بلادهم ، توفيا منهم اثنان أثناء الرحلة بسبب عدم قدرتهما على تحمل تقلبات المناخ ،

ولحقهم بعض الأفراد المرافقين للسفارة ، ويحوطه مجموعة من الفرسان المسلحين والعبيد النوبيين المصاحبين له [٣٥]، كما زوده والده زكريا بكثير من الهدايا التي يقدمها إلى الخليفة المعتصم والولاة والحكام في طريقه [٣٦].

كما أن الخليفة المعتصم العباسي أرسل إليه بعض رجاله ليرافقوه من بداية خروجه من بلاد النوبة حتى نهاية سفارته وعودته مرة أخرى إليها ، وذلك لكي يمهدوا له الطريق ويعرفونه بمسالك الطرق والدروب التي سيسلكها [٣٧] ، وأضاف ميخائيل السريانى أنه أصدر أوامره إلى عماله في مصر وباقي ولايات الدولة العباسية التي سوف يجتاز فيها الأمير النوبي أن يحسنوا استقباله، وعندما علم بوصوله إلى مصر خلال رحلته ، كتب إلى والى مصر وحكامها أن يستأجروا له جمالاً ولكل أفراد أسرته كذلك ، ويعطوه ثلاثون ديناراً يومياً كنفقات له ، وأن يستقبله حكام المدن بما يليق به كملك[٣٨]، وهذا يكشف عن براعة دبلوماسية رائعة من المعتصم ، وعن إعزاز كبير لملوك النوبة.

وقد قام عمال الخليفة في مصر بتنفيذ كل ما أمرهم به الخليفة تجاه هذه السفارة ، وفى اثناء إقامة الأمير النوبى بمصر خرج إليه البطريرك القبطي ورحب بقدومه للبلاد ، وبارك عليه ودعا له بالتوفيق في سفارته وبالرجوع سالماً ، وكان الأمير جورج سعيداً بهذه المقابلة ورويته للبطريرك [٣٩]، ثم خرجت السفارة من مصر واجتازت فى أقاليم الدولة العباسية، وكانت البلاد التي يجتاز فيها تزين له ، ويستقبله حكامها بحفاوة بالغة [٤٠].

واصل الأمير النوبي سيره حتى بلغ إقليم الجزيرة[٤١] ونزل في مدينة الرقة[٤٢]، واستقبله أمير الجزيرة بحفاوة وإكرام ، كما تهافت الناس على الاحتفاء به ، ومكث هناك شهور قليلة حتى جاء يوم الاحتفال بعيد الميلاد المجيد خلال رحلته ، فاحتفل به هناك وسط فرحة الناس به، وكتب الأمير جورج إلى البطريرك الأنطاكى ويدعى ديونسيوس التلمحرى[٤٣] Dionysiusl (٨١٧ – ٨٤٥ م) يطلب زيارته له ، أما البطريرك فقد رفض أن يجيبه إلى طلبه ، وأرسل إليه يعتذر له عن عدم إمكانه مقابلته دون استئذان الخليفة العباسي ، كما أبلغه أنه سوف يسافر إلى بغداد ويقابل الخليفة ، وعليه أن يسبقه إلى هناك ، وهناك يلتقي به [٤٤].

ولعل السبب في رفض البطريرك الأنطاكى مقابلة الأمير النوبي هنا يرجع إلى خوفه من بطش الخليفة المعتصم به ، إذ أنه كان مصاحباً للخليفة المأمون وأخيه المعتصم في حملتهم على مصر للقضاء على البشموريين ، وبعد القضاء على ثورة البشموريين أبدى رأيه للمأمون في أسباب الثورة وهو قسوة عمال المعتصم على المصريين ، ونتج عنه أن غضب المعتصم عليه ، وكان يريد الفتك به ، إلا أن المأمون أخفاه عنه ، لأنه كان صديقاً مقرباً له ، وبعد أن توفى المأمون وخلفه المعتصم خاف ديونسيوس منه فهرب من أنطاكية وأعمالها ، ولم يعود إليها إلا بعد أن عاهده المعتصم بأنه لن يقتله . ومنذ هذا الوقت وهو يخشى المعتصم، ولم يجرؤ على استقبال أحد من الملوك والقادة إلا بأذن منه [٤٥].

وبعد أن قضت السفارة عيد الميلاد في الرقة غادرتها واتجهت إلى بغداد عاصمة الخلافة ، وتزينت العاصمة العباسية بأبهى زينة واستعدت لاستقبال تلك السفارة ، واستقبله جيش الخلافة في الشوارع ، واحتفل به ، ولم يشأ الخليفة أن يستقبله حال وصوله إلى بغداد ، بل أمر أن يقيم في أحد القصور الملكية ومكث به فترة طويلة من الزمن تمتد ستة أشهر من شهر فبراير حتى شهر أغسطس(٤٦)

أما سبب هذا التأخير فقد أنفرد ميخائيل السريانى بالإشارة إليه وهو أن نوبياً ممن كانوا يقيمون في مصر طالبه النوبيون بدفع الضرائب المقررة عليه طبقاً لما جاء في معاهدة البقط ، لكنه تمرد ولم يدفع ماعليه ، فقبض عليه رجال الملك وقيدوه بالسلاسل ، فأراد هذا النوبي أن ينتقم من الملك ، فتحول إلى الإسلام ، وكتب إلى الخليفة المعتصم يتهم الملك النوبي بأنه رجل محتال وليس ابن ملك (٤٧)، ولعل هذا النوبي كان يعلم بما حدث من صراعات سياسية على العرش النوبي ، واغتصاب الملك زكريا للعرش ، وتنصيبه ابنه جورج ولياً لعهد ، وذلك أشاع عنه ذلك .

وما كان من الخليفة المعتصم إلا أن عزم على التحقق من الأمر بنفسه، وأرسل رجال ثقاة من عنده إلى مصر ليتحققوا من الأمر وقام هؤلاء الرجال بالتحقيق في هذا الأمر، وعرفوا أن الأمير جورج هذا هو نفسه ابن الملك زكريا وهو حاكم بلاد النوبة ، ووفقا لقول ميخائيل السريانى أنه ملك وابن ملك – وقد أطلعوا الخليفة على نتائج تحقيقاتهم هذه ، ولما تأكد الخليفة براءته من هذه التهمة أرسل له يطلبه للقائه ، وأمر القوات العسكرية أن

تستقبله استقبال الملوك، فاجتاز بينهم وهم منتظمون على جانبي الطريق، ودخل قصر الخليفة وهو بكامل زينته الملكية مكللاً بالتاج الملكي ، وأمسكه الخليفة من يده وأجلسه بالقرب منه ، وسأله عن مقصده وغايته من مقابلته عن طريق مترجم يتوسطهما، فأجابه بأسلوب جميل وبكل تهذيب أنه جاء لكي يرى وجه الخليفة وينعم بمقابلته ، ويطمع في إحسانه على مملكته ، وقدم إليه هداياه ، فأعجب الخليفة من حسن أسلوبه ورجاحة عقله وصفاته الحسنة ، وأمر أن تقبل هداياه، وأن يمنح له أفخر منها (٤٨).

وزاد إعجاب الخليفة به وبطاعته ، وتحمله مشقة السفر للوصول إليه ، وطلب منه أن يطلب ما يريد ويتمنى ، وأعطاه وقتاً طيباً في الحديث معه ، واستمع إليه جيداً، فترجى جورج من الخليفة أن ييسر له أمر دفع البقط ، فأجابه الخليفة وفاجئه بسعة كرمه وعزة نفسه بأن رفع عنه ما تأخر من البقط في مدة الأربع عشرة عاماً السابقة (٤٩)، وزاد من كرمه عليه بأن جعل النوبة تدفع البقط مرة كل ثلاث سنوات ، وليس كل عام ، وكتب وثيقة بذلك وسلمها له (٥٠).

وأضافت المصادر أن الخليفة أكرم الأمير النوبي بهدايا كثيرة ونفيسة تتكون من هدايا ذهبية وفضية ، كما أهداه الدار التي أقام بها في العراق ، وأمر رجاله أن يشتروا له دار في كل موضع ينزل فيه ليستريح أثناء رحلة عودته إلى بلاده ، وقد كانوا أشتروا له مجموعة من الدور منها داران بمصر إحدهما بالجيزة، وأمر صاحب ديوان مصر ببذل سبعمائة دينار وفرساً وسرجاً ولجاماً وسيفاً مطعماً وثوباً فاخراً وعمامة من الحرير الفاخر وقميص ورداء

وثياباً كثيرة ، وكل ذلك يدفع لهم عند وصولهم بالبقط إلى مصر ، كما أوصى أن من يقومون باستلام البقط أن يبذل لهم حملان وخلع، ومعنى ذلك أن تكون هذه العطايا دائمة للنوبيين في كل مرة يدفعون فيها البقط، واشترط الخليفة عليهم أن يقوموا بدفع رسوم ما للذين يستلمون البقط من المسلمين من أيديهم ، ولم تحدد المصادر نوع أو مقدار هذه الرسوم ، ولكن توضح المصادر أن ما منحهم لهم الخليفة كان يفوق في مقداره عن البقط الذي كانوا يدفعونه(٥١) .

وتضيف المصادر أن الأمير النوبي ترجى الخليفة في إطلاق سراح نوبيين مقبوض عليهم من قبل الحكام المسلمين فأجابه الخليفة إلى ذلك ، ولم تشير المصادر إلى عدد هؤلاء المحبوسين ، أو إلى سبب حبسهم ، ولعلهم ممن كانوا يغيرون على حدود مصر الجنوبية ، ويهددون الأمن في أسوان وقبض عليهم حاكم أسوان وأودعهم السجون، وأثار الملك قضية أخرى وهى أنه أدعى أن قوم من أسوان اشتروا عبيداً ملكاً له ، فأراد الخليفة التأكد بنفسه من هذا الأمر فأحضر والى أسوان إليه ومعه هؤلاء العبيد وسألهم هل كانوا عبيداً للملك النوبي فأنكروا هذا ، وقرروا أنهم رعايا نوبيين يعيشون في أسوان، وطلب الأمير النوبي من الخليفة أن ينقل الحامية الإسلامية المسلحة من بلدة القصر لأنها بلد نوبياً إلى الشمال داخل حدود أسوان ، لكن الخليفة رفض تلبية هذا الطلب ، وعند هذا انتهت المقابلة بينهما ، وأخذ الأمير جورج يعد نفسه لرحلة العودة (٥٢).

حمل الأمير النوبي المكاسب الدبلوماسية التي حققها من سفارته ، وإلى جانبها الكثير من هدايا الخليفة ، كما أوصى الخليفة بأن تصحبه فرقة

جنود في رحلة عودته لبلاده ، وعند وصوله مصر استقبله البطريرك القبطي وبارك له فيما حققه من نجاح في سفارته ، ومنحه بعض الهدايا القيمة ، وبعد أن أقام أياماً قليلة بمصر، خرج معه البطريرك وشيعه حتى حدود مصر الجنوبية ، ومنها سار حتى بلغ النوبة واستقر في مملكته (٥٣).

وهكذا انتهت سفارة الأمير النوبي جورج الأول ولى العهد إلى بلاط الدولة العباسية ، التي كان أبيه الملك زكريا قد رتب لها ، واستطاع أن يتحصل منها على مكاسب كثيرة عن طريق الدبلوماسية ، وأهمها أن المعتصم رفع عن مملكته بقط أربع عشرة عام ، وجعله يجمع كل ثلاث سنوات ، إلى جانب مكاسب مادية كثيرة يدفعها الديوان في مصر وحاكم أسوان من مبالغ مادية وأقمشة وأثواب ودواب ، بما يفوق مقدار البقط ، وفوق كل هذا كسب ثقة الخليفة وصداقته .

ويمكن القول أيضاً بأن دبلوماسية الأمير جورج بن زكريا ولى عهد النوبة في بلاط الخليفة العباسي المعتصم بالله كان لها أثر واضح وبعيد المدى في الحفاظ على كيان مملكة النوبة المسيحية تحت مظلة وحماية الدولة العباسية، إذ من خلال تلك المكاسب التي حققها الأمير جورج بن زكريا تمكنت مملكة النوبة من الحفاظ على وحدة أراضيها وحدودها واستقرارها فترة طويلة من الزمن قبل أن تسقط في أيدي سلاطين المماليك بعد ذلك.

الحواشي السفلية

(١) جورج : اختلفت المصادر في تسميته فنجده في المصادر السريانية يدعى جورجي Georgi، وفى المصادر العربية يدعى قيرقى Qurqi، أما المصادر القبطية فتكتبه جرجا Girga، أما النوبية فينطقونه جورجي ، وتعريبه جورج . راجع :

Giovanni Vantini, Christianty in The Sudan , Italy , 1981. p. 85.

(٢) الخليفة المعتصم:هو الخليفة المعتصم بالله أبو اسحق محمد بن الرشيد، تولى عرش الخلافة العباسية من عام ٢١٨هـ/٨٣٣ م ، وحتى عام ٢٢٧هـ/ ٨٤١ م، وكان شجاعاً ذو قوة وهمة ، وكان من أعظم الخلفاء مهابة .السيوطي: تاريخ الخلفاء ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ٢٠٠٣، ص٢٦٤ ،٢٦٥.

(٣) البقط : اختلف العلماء في أصل الكلمة ، أهي عربية أم غير ذلك ؟ والذين يرون أنها كلمة عربية صرفة اختلفوا في معناها اللغوي اختلافاً واسعاً ، وبالنظر في كتب المعاجم ، والقواميس نجد أنها وردت بمعنى الفرقة من الشيء، وهي جمع بقوط وهو ماليس بمجتمع في موضع ، وإنما هو شيء متفرق من الناحية بعد الناحية ، وقد تأتي بمعنى مخالف لهذا المعنى وذلك في قولهم " بقط متاعه بقطا أي جمعه وحزقه ، وربما ترد كذلك بغير المعنيين الأولين مثل قولك : تبقط فلان في الجبل إذا ضعد فيه ، ومن معانيها الأخرى كذلك " البقط تماثل البيت ، وأما الذين يرون بها غير عربية فقد اختلفوا في أصلها، فقيل إنها ترجع إلى لفظ مشتق من أصلين الأول لاتيني يوناني الأصل وهو Pacumومعناها الاتفاق والموادعة، والثاني مصري قديم وهو pakt ومعناها الضريبة التي توضع عيناً ، أما المعنى الاصطلاحي في هذا البحث فهو ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عنهم، وظلت معاهدة البقط سارية منذ عقدها والى مصر عبد الله بن أبى السرح عام٣١هـ/٦٥١م حتى سقوط مملكة النوبة الشمالية في أيدي سلاطين المماليك بعد ذلك للمزيد من التفاصيل راجع : ابن منظور : لسان العرب ، دار

صادر ، بيروت- لبنان ٢٠٠٣ ، ج٢ ، ص٢٤٣ ، ٢٤٤ ؛ بطرس البستاني : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان (د. ت) ، ص٤٨ ؛ مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت- لبنان ١٩٦٧ ، ص٣٠٢؛ عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١ ، ص٤٤؛ مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٩٤ ؛ كرم كمال الدين الصاوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاة، الطبعة الأولى، القاهرة٢٠٠٦، ص٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) اليعقوبي: كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق ١٩٥٧، ص٩٠؛ أبو المكارم : : تاريخ الكنائس والأديرة ، إعداد/ الأنبا صموئيل ، القاهرة ١٩٩٩ ،ج٢ ، ص ١٣٢؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر ، بيروت - لبنان ١٩٧٧، ج ٥ ، ص٣٠٩ ؛ المقريزي :المواعظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧، مج١، ص١٩٨؛ مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١- ٢٢ ، ٧١ - ٨٤ ؛ شوقي عطا الله الجمل : تاريخ وحضارات سودان وادي النيل ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٩ ، ج ١ ، ص ٢٠١ ؛

Richard Andrew Lobban,The A to Z of Ancient and Medieval Nubia , U.S.A., 2010 , p.22. ;Karl Butzer , W , and Hansen , C.L., Desert and River in Nubia: Geomorphology and Prehistoric Environments at the Aswan Reservoir, Univ of Wisconsin, 1968, p. 19-21.

(٥) ميخائيل الكبير: تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ترجمة / مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار ماردين ، حلب- سوريا ١٩٩٦ ، ص جـ٣ ، ص ٥٩ .

(6) Giovanni Vantini, op,cit, pp.84,85.;Millard, Ugo Monneret,, Storia della Nubia Cristiana, Roma ,1938, p. 100.

(٧) أبو المكارم : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٣٢ .

(٨) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٩ ؛

(9) Oriental Sources Concerning Nubia , collected And translated by Fr.G. Vantini , Heidelberg and Warsaw ,1975, p.317.

(١٠) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(١١) للمزيد عن ذلك الأمر راجع. أبو حنيفة الدينورى: الأخبار الطوال، تحقيق/ فلاديمير جرجاس، بيروت- لبنان١٩١٨، ص٣٨٩-٣٩٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٨٦، ص٢٥؛ سعيد بن بطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت- لبنان١٩٠٩، ص٥٤-٥٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق/ عبد الرحمن الشامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان١٩٨٨، ص٢٤٢؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق/ دوردتيا كرافولكى، بيروت- لبنان١٩٩٢، ج٥(الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية)، ص١٦٥-١٦٨؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة، القاهرة١٩٩٦، ج٢، ص١٤٦؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة١٩٧٣، ص١١٢؛ نبيلة حسن محمد: في تاريخ الدولة العباسية، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية١٩٩٩، ص١٥٠-١٦٦.

(١٢) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(13) History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria ,p. 503.

(١٤) عبد الله بن سعد بن أبى الصرح : هو عبد الله بن سعد بن الحارث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن سجل بن عامر ابن لؤي القرشي البطاح، أخو الخليفة الراشد عثمان بن عفان من الرضاعة ، حيث أرضعته أم عثمان ، وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم

قد أهدر دمه فاستجار بعثمان يوم الفتح، فقبل النبي ذاك إكراما لعثمان ، وأسلم وحسن إسلامه ، وكان من كتاب الوحي ، وروى بعض الأحاديث عن النبي صلي الله عليه وسلم ، ولاه الخليفة عثمان بن عفان مصر سنة ٢٥ هـ /٦٤٥م، وقام بفتح إفريقية ، وكان فتحاً عظيماً شهده معه عبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الله ابن عمرو ابن العاص ، ثم فتح النوبة ووقع معهم معاهدة البقط سنة٣١هـ/٦٥١م، في عهد معاوية بن أبي سفيان . راجع : ابن سعد: الطبقات الكبرى ، دار صادر، بيروت- لبنان ١٩٦٠ ، ج ١١، ص ٤٩٦ - ٤٩٧ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق/ بشار عواد معروف وآخرون ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان (د. ت)، ج٥٤ ، ص ٢٨- ٣٠.

(١٥) دنقلة : وتسمى دمقلة في بعض المصادر، بضم أولها وسكون ثانيها وضم قافها ، جاء عنها في المصادر أنها منزلة ملك بلاد النوبة وطول بلاده على النيل مسيرة ثمانين ليلة ، ولها أسوار عالية لاتزال مبنية بالحجارة . وهى تقع شرق النيل ، وتبعد ١٠٥ كيلو متر جنوب مدينة دنقلا الحالية ، وسبب تسميتها بهذا الإسم يرجع إلى عدة روايات منها أن الإسم يعنى الطوب الأحمر، وهى الوحيدة من المدن النوبية التي بنيت به، وذلك لقربها من النيل ، أو أن هذا الإسم كان يطلق على أحد ملوكها القدامى ، أو أن الإسم يعنى قلب وذلك لوقوعها في قلب مملكة مروة وبلاد النوبة ، وهى مدينة اليوم، ولكنها تحتوى على كثير من الآثار الدينية مثل الكنائس والأديرة ، وبها المسجد الذي بناه عبد الله بن سعد بن أبي السرح . راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٠٩؛ البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت - لبنان١٩٥٤، ج٢، ص ٥٢٤ ؛

John Lewis Burckhardt,Travels In Nubia,Cambridge,digitally printing,2010, pp. 133 - 18. .

(١٦) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٨ ؛ المقريزي : المصدر السابق، مج١، ص٢٠٠ ، هذا ويلاحظ أن البلاذرى يعرض عدة روايات عن هذه الاتفاقية نقلها عن بعض الثقاة من القادة والمؤرخين العرب أمثال الواقدى وغيره، وكل هذه الروايات رأت أنها كانت بمثابة هدنة بين المسلمين والنوبيين، كان شروطها أن لا يتقاتل الطرفان مقابل أن يعطى المسلمين للنوبيين غذاء يتمثل في الحبوب مثل العدس والقمح والخل والثياب في مقابل أن يعطيهم النوبيين رقيقاً ، واختلف في تحديد عدد الرقيق. البلاذرى: فتوح البلدان ، تحقيق/عبد الله أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت- لبنان ١٩٨٧، ص ٣٣١- ٣٣٣ .

(١٧) القصر : مدينة تقع جنوبي السودان على مبعدة ١٠كم متر تقريبا ، وهى أولى بلاد النوبة من الشمال ، وقريبة من بلدة بلاق المواجهة لجزيرة فيلة ، وهى الحد الجنوبي لأسوان وأخر بلادها ، ويقع بعدها الجندل الأول ، وكانت بضائع النوبة ومنتجاتها تصل إلى هذه المدينة تنقل بالسفن إلى ميناء بلاق. المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق/ كمال حسن مرعى ، المكتبة العصرية ، بيروت- لبنان ٢٠٠٥ ، ج٢، ص ١٧ ؛ محمود الحويرى : أسوان في العصور الوسطى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص ١٧ ؛ مصطفى مسعد : المرجع السابق ، ص ٧٦ ، ١٠٣ .

(١٨) المسعودي : المصدر السابق ، ج٢، ص١٠٧.

(١٩) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص٥٨ ، ٥٩ .

(٢٠) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ، وتذكر رواية البلاذرى مانصه " حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن أبى لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : ليس بيننا وبين الأساود (النوبيين) عهد ولا ميثاق ، إنما هي هدنة بيننا وبينهم على أن نعطهم شيء من القمح وعدس ويعطونا رقيقا ... ".

(٢١) محمود الحويرى : المرجع السابق ص ٥٤ ، ٦٣ ؛ مصطفى مسعد : المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢٢) هارون الرشيد:هو الخليفة العباسي هارون بن الخليفة المهدي، تولى الخلافة عام ١٧٠هـ/٧٦٣م ويكنى أبو جعفر ، وأمه الخيزران،وغزا الروم في الكثير من السنوات وحدثت في عهده نكبة البرامكة، وتوفى عام ١٩٣هـ/ ٨٠٩م. للمزيد راجع السيوطي: المصدر السابق، ،ص٢٢٥-٢٣٠.

(٢٣) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(24) History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria ,pp. 503.

(٢٥) الخليفة المأمون العباسي:هو أبو العباس عبد الله بن الرشيد ولد عام ١٧٠هـ/٧٨٦م ، تولى الخلافة بعد نزاعه مع أخيه الأمين ، وكان فصيحاً مفوهاً عالماً، وتوفى عام ٢١٨هـ/٨٣٣م .السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٤٣-٢٤٩.

(26) Op.Cit,p. 503 - 505.

(٢٧) يوساب الأول : هو البطريرك القبطي الإرثوذكسي الثاني والخمسون في عداد بطاركة كنيسة الإسكندرية ، وأخر بطريرك قبطي يتم تنصيبه وتجليسة بطريرك في مدينة الإسكندرية ودفن بها بجانب بطاركتها السابقين ، كان قد ولد في مدينة منوف بالدلتا ، لوالدين تقيين وثريين ، وفى شبابه ترك بيته وسلك طريق النسك وترهب في دير القديس مقار بوادي النطرون ، ثم جلس على الكرسي الاسقفي عام ٨٣١ م ، وفى عهده جرت أحداث مهمه منها أن أسقفا تنيس ومصر خرجا عليه وعاملا شعبهما بالشده فطعهما ، وكانت له صداقة وشركة إيمانية وثيقة بالبطريرك الأنطاكي القديس ديوسقوس التلمحرى ، وفى عهده قامت ثورة البشموريين بشمال الدلتا بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها ولاة مصر على المصريين ، وفشلت الجيوش العباسية بقيادة الأفشين في إخضاعها، حتى جاء المأمون وأخيه المعتصم وقادا جيوشهما واستطاعا تحقيق النصر على

البشموريين وفتكوا بهم ، وكان يهتم بالكنائس والأديرة وزاد من أوقافها ، وفى عهده أستطاع أن يقيم أساقفة لبلاد النوبة والحبشة ، ثم توفى عام ٨٤٩ م . ايريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية ، الطبعة السابعة، مكتبة المحبة ، القاهرة ١٩٩٨ - ٢٠٠٠، ج ٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٨٦ ؛

History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria ,pp.475 - 547.; Partrick, T.H., Traditional Egyptian Christianity, A History of the Coptic Orthodox Church U.S.A.,1996.pp.60 -63.

(28) History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria ,p. 505.

(٢٩) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(30) Op.Cit,p.505.

(٣١) المقريزي : المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١ .

(٣٢) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٩؛ Op.Cit,p. 505

(33) Op.Cit,p. 505.

(34) Op.Cit,p. 505

(35) Giovanni Vantini , op ,cit , p. 86 .

(٣٦) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص٥٤ ، ٦٠ .

(٣٧) المقريزى المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١ ؛

History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria ,p. 505.

(38) Op.Cit,p.505;506.

(٣٩) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(40) Op Cit,p.505, 506.

(٤١) المقريزي : المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١.

(٤٢) إقليم الجزيرة : هو الأرض المحصورة بين نهرى دجلة والفرات ، وقد ضمت إلى الجزيرة كثيراً من البلاد الفراتية التي في الجانب الآخر من الفرات لقربها من البلاد الجزرية ، وكان هذا الإقليم ينقسم إلى ثلاثة مناطق عرفت بأسماء القبائل التي سكنتها قبل الإسلام ، وهي : ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر (بن وائل)، وكان الساسانيون يحكمون هذا الإقليم، حيث كانت هذه المناطق تحت إدارة اصبهذ العرب ، وكانت مدينة الموصل التي تقع غربي نهر دجلة أجل واكبر مدن ديار ربيعة، وهي مدينة كبيرة تعتمد في زراعتها على مياه نهر دجلة ، ومدينة شمشاط التي تعد ثغر الإقليم ، وهي أجل مدينة على نهر أسنياس الذي ينبع من الجبال الواقعة شمال بحيرة (وان) ، ومن مدنه الأخرى نصيبين وآمد ، ويحتل إقليم الجزيرة مكانة مهمة لمرور طرق التجارة بين الشرق والغرب عبر أراضيه، وكانت الكثير من المنتجات الزراعية لهذا الإقليم تصدر إلى الأقاليم المجاورة ، ولهذا فقد حظي باهتمام الدولتين الساسانية والبيزنطية ، وقد شهدت أراضيه العديد من الحروب الدامية بين الإمبراطوريتين، وقد تحملت مدن هذا الإقليم عبء تلك الحروب. ابن حوقل: صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان ١٩٩٢، ق١، ص ١٨٩ – ١٩١ ؛ أبو الفدا: تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤

(٤٣) الرقة : قامت في موضع المدينة اليونانية القديمة كلذيكس، وهي من بناء الإسكندر المقدوني ٣٣٣-٣٢٣ق.م، وكانت في كثير من الأحيان مسرحاً للحروب لوقوعها على ممر الجيوش الرومانية والبيزنطية والفارسية ، حتى الفتح العربي سنة ١٧هـ/٦٣٨م، وتقع في إقليم الجزيرة ، وتعد قاعدة ديار مضر وأكبر مدنه، وهي كثيرة الزروع والأشجار . ابن حوقل : المصدر السابق ، ق١ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ سليمان صائغ الموصلي ، تاريخ الموصل ، المطبعة السلطانية، القاهرة ١٩٢٣ ، ج١ ، ص ٣٠.

(٤٤) ديونسيوس التلمحرى : بطريرك أنطاكيا ، قضى سنوات عمره المبكرة في مدينة قنسرين وتعلم بمدارسها ، وترهب بأحد أديرتها ، وفى عام ٢٠٠هـ/٨١٥ م ترك

قنسرين وأقام في كيسوم ، وأكمل حياته الرهبانية في دير مار يعقوب بها ، ثم اعتلى كرسي كنيسة أنطاكية عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧ م خلفا لسلفه البطريرك قرياقوس ، كان له علاقة صداقة قوية مع الخليفة العباسي المأمون ، زار مصر عدة مرات لغرض الالتقاء بالبطاركة الأقباط ، وتوثيق علاقة الكنيسة الأنطاكية بالكنيسة القبطية ، كما زارها مع الخليفة المأمون في أحداث ثورة البشموريين ، توفى عام٢٣١هـ/ ٨٤٥ م . عن ذلك انظر:

Encyclopedia of Early Christianity,Second Edition ,Ed .by , Everett Ferguson , New York , 1998. pp. 273.

(٤٥) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(46) History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria ,p. 495, 496.

(٤٧) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٤٨) نفس المصدر، ص ٦٠ .

(٤٩) نفس المصدر ، ص ٦٠ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١.

(50) Op.Cit,p. 506.

(٥١) المقريزي : المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١.

(٥٢) ميخائيل السرياني : المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ٦٠ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١.

(٥٣) المقريزي : المصدر السابق ، مج١، ص٢٠١.

(54) Op.Cit,p. 506, 507.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأصلية:-

(١) البغدادي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩م) صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق:
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .
* تحقيق/ على محمد البجاوى ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت- لبنان ١٩٥٤
(٢) البلاذرى (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر :
- فتوح البلدان .
* تحقيق / عبد الله أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت- لبنان ١٩٨٧ .
(٣) ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م) أبو القاسم محمد بن على الموصلي:
- صورة الأرض .
* دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ١٩٩٢.
(٤) الدوادارى(ابن أيبك الدوادارى):
- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الخامس(الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية).
* تحقيق/ دوردتيا كرافولكى، بيروت- لبنان١٩٩٢.
(٥) الدينورى (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م):أحمد بن داود الدينورى:
- الأخبار الطوال .
* تحقيق/ فلاديمير جرجاس، بيروت- لبنان١٩١٨.
(٦) الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٨ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي:
- سير أعلام النبلاء.

* تحقيق/ بشار عواد معروف وآخرون ، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان(د. ت).

(٧) ابن سعد(ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) محمد بن سعيد الزهري:

- طبقات ابن سعد .

* دار صادر ، بيروت – لبنان ١٩٦٠.

(٨) سعيد بن بطريق(ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) الطبيب والمؤرخ المسيحي سعيد بن بطريق:

- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق.

* مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت- لبنان١٩٠٩.

(٩) السيوطي (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) جلال الدين السيوطي:

- تاريخ الخلفاء.

* الطبعة الأولى، دار ابن حزم ، بيروت -لبنان ٢٠٠٣.

(١٠) الطبري (٣١٠ هـ / ٩٢٢م) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:

- تاريخ الأمم والملوك .

* دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ١٩٨٦.

(١١) أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) عماد الدين إسماعيل بن عمر صاحب حماة:

- تقويم البلدان .

* باريس ١٨٤٠.

(١٢) ابن كثير (٧٧٤ هـ/١٣٧٢م) أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير:

- البداية والنهاية في التاريخ.

* تحقيق/ علي شيري، دار أحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ١٩٨٨.

(١٣) المسعودي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) أبو الحسن على بن الحسين:

- مروج الذهب ومعادن الجوهر.
* تحقيق/ كمال حسن مرعى ، المكتبة العصرية ، بيروت- لبنان ٢٠٠٥ .
(١٤) المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م) تقي الدين أبى العباس أحمد بن علي:
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار .
* مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧.
(١٥) أبو المكارم (ت٦٠٥ - ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ -١٢١٠م) سعد الله بن جرجس:
- الكنائس والأديرة.
* تحقيق/ الأنبا صموئيل ، القاهرة ١٩٩٩.
(١٦) ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:
- لسان العرب .
* بيروت - لبنان ٢٠٠١.
(١٧) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله :
- معجم البلدان .
* بيروت ، دار صادر ، بيروت- لبنان ١٩٧٧ .
(١٨) ميخائيل (ت٥٩٥ هـ / ١١٩٩ م) ميخائيل الكبير بطريرك أنطاكية السرياني
- تاريخ مار ميخائيل الكبير .
* ترجمة وتقديم/ مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم ، الطبعة الأولى، دار ماردين سوريا١٩٩٦.
(١٩) اليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ /٨٩٥ م) أحمد بن يعقوب بن جعفر:
كتاب البلدان.

*المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف- العراق ١٩٥٧.

ثانياً: المراجع العربية:-

(١) السيد عبد العزيز سالم (دكتور):

- دراسات في تاريخ العرب ، العصر العباسي الأول .

* مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٣ .

(٢) ايريس حبيب المصري:

- قصة الكنيسة القبطية ، الطبعة السابعة.

*مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٨ - ٢٠٠٠.

(٣) بطرس البستاني :

- محيط المحيط.

* مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان (د. ت).

(٤) حسن إبراهيم حسن (دكتور):

- تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي العصر العباسي الأول.

* الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٩٦.

(٥) حسن أحمد محمود ،أحمد إبراهيم الشريف(دكاترة):

- العالم الإسلامي في العصر العباسي .

* الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٣.

(٦) سليمان صائغ الموصلي (دكتور):

- تاريخ الموصل .

* المطبعة السلطانية ، القاهرة ١٩٢٣.

(٧) شوقي عطا الله الجمل (دكتور):
- تاريخ وحضارات سودان وادي النيل .
* مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٩.
(٨) عطية القوصي (دكتور):
- تاريخ دولة الكنوز الإسلامية .
* دار المعارف،القاهرة ١٩٨١ .
(٩) كرم كمال الدين الصاوي باز (دكتور):
- مصر والنوبة في عصر الولاة.
* الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٦.
(١٠) مصطفى محمد مسعد (دكتور):
- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى .
* مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ١٩٦٠ .
(١١) محمود الحويرى (دكتور):
- أسوان في العصور الوسطى .
* عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة ١٩٩٦ .
(١٢) مكي شبيكة (دكتور):
-السودان عبر القرون.
* دار الثقافة ، بيروت- لبنان ١٩٦٧ .
(١٣) نبيلة حسن محمد (دكتورة)
- في تاريخ الدولة العباسية .
* دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٩ .

ثالثاً: المراجع الأجنبية :-

1- Encyclopedia of EarlyChristianity,SecondEdition,Ed.by,Everett Ferguson, New York , 1998.

2- Giovanni Vantini, Christianty in The Sudan , Italy , 1981.

3- Hany Takla, Christianity and Monasticism in Aswan and Nubia,Cairo, 2012.

4- History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria, Arabic Text With English translated And Anoted,. by B,Evetts,.in (Patrologia Orientalis, 10) Paris 1915.

5- John Lewis Burckhardt , Travels In Nubia , Cambridge , digitally printing , 2010.

6- Karl Butzer , W., and Hansen , C.L., Desert and River in Nubia: Geomorphology and Prehistoric Environments at the Aswan Reservoir, Univ of Wisconsin, 1968.

7- Oriental Sources Concerning Nubia collectedAnd translated by Fr.G. Vantini , Heidelberg and Warsaw ,1975.

8- Partrick, T.H., Traditional Egyptian Christianity, A History of the Coptic Orthodox Church, U.S.A.,1996.

9- Richard Andrew Lobban,The A to Z of Ancient and Medieval Nubia , U.S.A., 2010.

10- Shinnie,P.L.,Medieval Nubia.Kharttoum,1954.

11- Villard, Ugo Monneret, Storia della Nubia Cristiana, Roma ,1938.